المغرب

بعد ربع قرن من الاستقلال

عناصر الوضعية الحالية

مضى ربع قرن من الزمن منذ أن أعلن استقلال المغرب الشكلي سنة 1956، ربع قرن في تاريخ البلاد شيء قليل. الا أن ربع قرن في ذاكرة الجيل زمن طويل ملي ء بالتطلعات والآمال والنكسات والمآسي.

ورغم ذلك، فلا يزال المغرب كما كان، تصاعدت بعض الأرقام وانخفضت بعضها، اضطردت بعض النسب المئوية وتضاءل بعضها الآخر، ازداد عدد السكان فتضاعف الاستغلال والشقاء مع ازدياد هم، ازداد الوعي فتصاعدت محنة الجماهير الشعبية.

مضى ربع قرن من الزمن على استقلال البلاد، ولا يزال المغرب عرضة لأزمة هيكلية نظامية محتدمة.

صار الاستقلال شكليا، وبقيت خيرات البلاد وطاقات سكانه فريسة معروضة للاستعمار وحلفائه المحليين من طبقة فاسدة مكونة من كبار الملاكين الاقطاعيين والبورجوازيين الطفيليين الذين خلفوا المعمرين في أدوارهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التابعين لمصالح الاستعمار الأجنبي، والراصدين فتات النهب المنظم لخيرات البلاد بتواطؤ مع النظام الاقطاعي الملكي الذى خلف في الجوهر نظام الاستعمار الأجنبي.

مضى ما يربو على سبعة وعشرين عاما منذ اندلاع المقاومة المسلحة في المغرب ضد الاحتلال والاستعمار.

ففي 20 غشت سنة 1953، تحديا للاستعمار، رفع المقاومون الأبطال شعار الملك كرمز مقرون بالوطن لانطلاق حركتهم المسلحة.

في هذا الوقت بالذات، كان الملك يساوم الاستعمار بالوطن، بل أن الملك ــ والأدلة التاريخية شاهدة على ذلك ــ كان يساوم بكرامته الشخصية، مقابل البقاء على عرشه.

ساوم الملك، بعد نفيه من أجل الابقاء على شخصه، ثم ساوم من أجل مجرد ارجاعه من جزيرة مدغشقر الى فرنسا.

لم يقبل الشعب المساومة في فصل سيادة البلاد واستقلالها عن الرمز الذى رفعه كشعار لذلك، لم يقبل الشعب المساومة مع الاستعمار في الملك لأن مجرد القبول بذلك يعتبره مساسا بالسيادة الوطنية، وخدعة القصد منها تفكيك جبهة النضال المتصاعدة المحتدمة.

فلما استفحلت الأوضاع ضد الاستعمار في جميع أنحاء المغرب العربي بعد اندلاع الثورة الجزائرية المظفرة في نهاية 1954، عمد الاستعمار، طلبا للخروج من الأزمة الى وسيلة العملاء للمساومة مع الملك.

فقبل الملك المساومة :

— ساوم الملك بخيانة الكلاوى وتصالح معه، ومشى في جنازته ...

— ساوم في اكس لبان بكل شيء، ساوم بوحدة النضال على مستوى المغرب العربي، ساوم الملك بالأراضي المحتلة في ايفني وآيت باعمران وساوم بالتآمر على جيش التحرير مع الاستعماريين الفرنسي والاسباني. ساوم الملك بتحرير الصحراء، وساوم بالجلاء عن القواعد العسكرية المرابطة على التراب المغربي. بل أن الملك ساوم بالسيادة الوطنية على جميع مستوياتها الاقتصادي والثقافي والسياسي والدبلوماسي ...

استعاد المغرب الرمز من الاستقلال، واستبقى الاستعمار بالمساومة المحتوى الجوهري للاستقلال.

واذا كان لا بد من اعطاء مغزى لذكرى 20 غشت، فهذا هو مغزاها الحقيقي ان الحقبة الفاصلة ما بين 20 غشت سنة 1953 و 20 غشت سنة 1980، انما هي امتحان للمقاومة كسلوك نضالي مرتبط مصيره بمصير الشعب، وللمقاومة كاحتراف. كان هدف المقاومين بالأمس، هو اعفاء الشعب من طغيان الخونة، وتخليصه من استغلال الاستعمار الأجنبي. وهذه المهمة باقية على عاتق المقاومين الذين اختاروا السلوك النضالي، لن تنتهي الا بالوصول الى الهدف: اعفاء الشعب والوطن من المتآمرين على سيادته والمساومين على ارادته، وتقويم المنحرفين عن أهداف المقاومة وجيش التحرير، وفرز المناضلين الصامدين من السماسرة والمساومين مع الاستعمار وعملائه اليوم كما هو الشأن بالأمس.

ان ذكرى 20 غشت ينبغي أن تكون عبرة، والعبرة أن المنطلق كان يحمل في طياته بذور الانتكاسة (" فالسم في ذلك العسل ") كما يقول المثل.

وكل ثورة تحمل عوامل الاجهاض في احشائها. وينطبق المبدأ على الانطلاقة المسلحة المغربية.

والمغامرون هم ضعيفوا الايمان و محبي الذات الذين يراهنون على التحالف مع الاستعمار للتآمر على سيادة الوطن وسيادة الشعب بدون تردد. ان التنازل لصالح أعداء الشعب هو المغامرة.

وعبثا يحاول المغامرون تسويغ مغامرتهم بالاصلاح والاعتدال لأن الاصلاح والاعتدال يستلزمان مواقف متلاحقة من الجانبين .

ان المغامرة تكمن في تأييد الجور والتواطوء مع الطغيان والظلم.

ان نجاح التضحيات ثورة و بطولة، وفشل التضحيات لا يعدو أن يكون عثرة ونكسة و خسرانا ظرفيا مؤقتا .

ان التجربة غنى للنضال في تعميقه ، كما أن تعبئة الشعب للقبول بالتضحية هو السبيل لتحقيق أهداف النضال .

والمتآمرون وحدهم هم الذين يتسابقون لجعل الفشل مناسبة لتعميق اليأس.

ومع ذلك، فلا مناص من الاعتراف بأن تشبثنا بمظهر " الرمز" في أوائل هذه الحقبة، ساعد الاستعمار على الاهتداء الى الثغرة في خطتنا . فقد جعل من نقطة ضعفنا هذه هدفا لتطبيق سياسة الاستعمار الجديد فكان ذلك مقتلا للمحتوى.

كما أن نقطة الضعف هذه كانت مدخلا لتدشين سياسة التعامل بالشكل مقابل الاحتفاظ بالجوهر، أعطانا الاستعمار ملكا، وأخذ مقابله السيادة الوطنية، تحدينا الاستعمار فأرضى غرورنا . سلبنا الاستعمار جوهر هذف نضالنا مقابل ثمن شكلي للتحدي.

أدينا الثمن غاليا : كنا في الطليعة وتقهقرنا الى أماكن الخنوع في الصف، كنا نناضل على مستوى المغرب العربي والافريقي فأصبحنا في مؤخرة القافلة العربية والافريقية .

ان خطأنا القاتل كان أن تنازلنا عن القيادة السياسية باعتبار أنه يمكن الفصل بين الفكر السياسي والعمل المسلح : التناقض بين البندقية والعمل السياسي . انزلق العمل السياسي الى صف الاستعمار وبقي العمل المسلح عبارة عن ورقة للمساومة والضغط في اللعبة السياسية .

أصبح العمل المسلح بعد انتهاء الصفقة عاملا مناقضا ومحرجا بالنسبة للقيادة السياسية والحكم والاستعمار معا .

فقد وقع تحالف جديد ، تولى فيه الاستعمار الجديد دور القيادة حيث احتفظ بالجوهر وأناط بالقيادة السياسية الدور القانوني الشكلي كمظهر خارجي . أما القاعدة الشعبية فلم يخصص لها ضمن التحالف الجديد حتى دور الملاحظ أو الشاهد .

وعوض ذلك خصصت عمولات لتزكية المخطط من طرف من يقبل به من أعضاء المقاومة، فكانت رخص النقل والامتيازات التجارية ثمن امتهان المقاومة وروح النضال وقيمة تفويت وتنازل الشعب عن حقه في مصيره .

ان المقاومة أمانة مقدسة من الشعب، لا يمكن تحريفها و تزييفها قصد توريطها في عملية تفويت حق الشعب دون السقوط في صف التآمر والمغامرة . ومن واجب المقاومة كسلوك أن تتصدى لهذه المواقف التي تستهدف رصيدها الشعبي لتفضحها و تدينها بدون تردد .

فلا بد من التنديد بموقف انقلب من التضحية، من أجل الشعب، الى التضحية بالشعب، مقابل " مغانم" شخصية، دفعت عمولة مقابل هذا الانحراف. ان تبرير نضال المقاومة برجوع الملك تزييف وتحقير لتضحيات أبطال المقاومة . كما أن اقحام مفهوم "الرزانة" و "الحكمة" في هذا التعامل، كتغطية، يبقى من باب الخساسة والرذيلة والخدعة . فالحقيقة الصارخة طيلة هذه الحقبة أن هيمنة تحالف الاستعمار والاقطاع أدى الى المزيد من النهب والنزيف في خيرات الشعب لتتراكم وتتكدس ثروة لبعض المحظوظين الذين لا تتجاوز نسبتهم 5 ٪.

وان ازدادت نسبة السماسرة، فان القسط المخصص لهم من نهب خيرات الشعب ثابت لا يتحرك .

وما مظاهر الديموقراطية والليبرالية كما يفهمها ويريدها النظام ــ وغيرها من المظاهر البراقة ــ الا برامج تسلية ميزانيتها من هذا القسط المخصص للسماسرة : على شكل الرشوة والقمع والاحتيال .

وما القداسة المضروبة حول الحكم الاقطاعي الا حزام وقائي ضد كشف هذه الحقائق والحقائق بالنسبة للشعب واضحة مكشوفة وان جند المستفيدون كافة امكانياتهم، وهيئوا كل جهودهم لانجاح استثمار التضحيات الشعبية، غير أن ذلك لم يتم ــ ولا يمكن أن يتم الا بتكريس الشقاء والاضطهاد والاستغلال، فليس من التجني على الحقيقة في شيء، ولا الذهاب الى مواطن المبالغة أن يعترف المرء باختصار أن المغرب شهد بداية ثورة، طعنت الثورة وأجهضت، فحل محل الثورة ثورة مضادة : الثورة الأولى هي ثورة الشعب والثورة الثانية هي ثورة الملك .

أما "ثورة الملك والشعب" فهو تعبير مزيف غير ذي معنى . فتعايش الثورتين مستحيل لأن الواحدة تحل محل الأخرى وتقوم مكانها، فلا تعايش ولا تساكن بينهما .

ومن رأى ملكا ثائرا قاد شعبا الى الثورة، في التاريخ القريب أو البعيد ؟ وعكس ذلك، فان الحقائق التاريخية تجمع على أمثلة لا حصر لها من ثورة شعب ضد ملك خائر جائر.

وليس من الصدف أن يتوجه الاستعمار الفرنسي، الذى استخلص هذه العبرة من تاريخ فرنسا الحافل بهذه الأمثلة، بالمساومة الى الملك واختيار جانبه ضد الشعب المغربي .

وليس من التكرار في شيء، بل للتركيز على حقيقة كان أولى بالحركة الوطنية المغربية أن تستوعبها، أن نذكر بموقف البطل عبد الكريم الخطابي الذى ربط في خطته الثورية، والتي هي في الحقيقة تطوير للتقليد الثورى في المغرب، النضال ضد الاستعمار بالنضال ضد الحكم الملكي . وقد مارس عبد الكريم لذلك القيادة السياسية والثورية معا لأن التطابق بين القيادتين ينتج عن الترابط بين الوعي السياسي والوعي الاجتماعي .

السواعد والأقلام :

ان الوعي المصلحي يقود دائما الوعي الوطني، وكانت النجاة أن يقود الوعي الاجتماعي الوعي الوطني، لأن الصراع على المستوى الاجتماعي هو الذى يبلور ويصقل الوعي السياسي الوطني .

وكانت نتائج طمس هذا الصراع هو بمثابة تسليم مقاليد القيادة للذئاب على القطعان، وهذا ما حدث .

وتلك هي المأساة التي تلهمنا وتلهبنا بها ذكرى 20 غشت، الذئاب تثوارت الرعية، والرعية تثوارت الذبح في الأسواق الرأسمالية .

بالأمس تصدر اليد العاملة، واليوم، وقد ساد الكساد هذه البضاعة من جراء ما أصاب الرأسمال العالمي من أزمة خانقة، نرى تصدير الأدمغة والمثقفين تحل محلها .

وما الدفع باغلاق وحذف شعبة الفلسفة من التعليم المغربي الا استجابة لمتطلبات الأسواق العالمية لهذه البضاعة الجديدة التصدير، اذ أن الفلسفة تدفع بالطلاب العاطلين الى تحليل فلسفي لأوضاعهم وأوضاع مجتمعهم. وهم لذلك ذووا خطورة ومقدرة في تنظير أسباب البطالة وتوظيف هذه الأسباب بشكل يغذى الوعي السياسي والاجتماعي .

وقد سبق محاولة اغلاق شعبة الفلسفة، الغاء المدرسة العليا للأساتذة. وكانت أسباب التدبير الأول تطابق أسباب التدبير الثاني لما للتعليم بصفة عامة، وتثقيف الأدمغة بشكل خاص، من عواقب توعية نضالية سيما في مجتمع ضابطه الاستغلال والطغيان والشقاء. فالنظام لا يحتمل تراكم المتفجرات العقلية والعضلية في وقت واحد.

واذا خرج النظام بهذه التدابير فلأنه استفاد، ولفترة طويلة، من انفصال الفكر عن الساعد وابتعاد الثقافة عن الصراع الاجتماعي.

والاستغلال والبطالة ستظهر حتما الرابطة النضالية بين الفكر والساعد، وعبثا يحاول الحكم استعمال القوات السياسية والاجتماعية وآباء التلاميذ لتزكية هذا التآمر الجديد.

فمناهضة وفضح هذا التآمر أحق وأجدى بالتنظيمات السياسية والاجتماعية الوطنية.

القيادة أم قيود :

غير أن التنظيمات السياسية عاجزة غارقة وأصابها الدوار من الدوران. تأكد عجزها في التنافس وراء الثغرات الانفتاحية التي ينظمها الحكم الاقطاعي من حين لآخر لينفس على مأزق صيرورة نظامه المتعفن. انفضح عجز هذه التنظيمات للتعبير عن تطلعات الجماهير الشعبية الى الخروج من الركود والبؤس والشقاء والفساد.

بقي نشاط هذه التنظيمات السياسية مخضوب الجناحين مشلول الفعالية من جراء وطأة خطة ومؤسسات طبخت في غياب عنها، لضمان مصالح الاستعمار والاقطاع في البلاد. فلا هي مع الحكم فتشاركه طبخاته ولا هي مع الجماهير لتعبر عن رغباتها. وذلك راجع الى تاريخ تكوينها.

فقد حدثت مرات عديدة طيلة هذه الحقبة حركات جماهيرية متجذرة الطموح، واسعة الآفاق، وطنية وديموقراطية متحررة، تستهدف نسف الهياكل الاقطاعية الملكية. الا أن هذه الحركات كانت تشكو دائما من عدم توفر قيادة ثورية متماسكة. وذلك راجع الى غياب فرز سياسي عميق على مستوى المنظمات السياسية، بين التنظيمات السياسية ككل، والحكم من جهة، بين الحزب والملك، وداخل التنظيمات السياسية بين القاعدة ذات المصلحة في التغيير الجذري وبين قيادتها "الاصلاحية" من جهة ثانية.

لم يكن الفرز كافيا بين المضمون الوطني والمضمون الاجتماعي ، بين مرحلة التحرير الوطني ومرحلة التحرير الاقتصادى والاجتماعي . وبعبارة أوضح ، لم يكن الفرز صارما بين القوات المتذبذبة التي لها مصلحة في الخلط والقوات الشعبية الجماهيرية العميقة الطموح والمطلب، وبالتالي الواضحة سياسيا واجتماعيا .

هذه الأسباب أساسا هي التي سهلت اجهاض الثورة المسلحة في المغرب قبل الاستقلال . كما أن هذه الأسباب هي التي أدت الى سرقة التضحيات التي ضحا مها الشعب المغربي بعد الاستقلال .

خاضت الجماهير الشعبية، بقواتها الثورية من عمال وفلاحين وحرفيين وتجار صغار وشباب، المنظمة في صفوف المقاومة وجيش التحرير معركة التحرير فصودرت المعركة وحرفت، واستغلت تضحيات الجماهير الشعبية واختصر هدف نضالها وشوه في عملية ارجاع الملك من منفاه .

الاستعمار يسهل الفرز :

وقد كان اندلاع المقاومة المسلحة وتشكيل جيش التحرير في بداية الخمسينيات نتيجة فرز أجراه الاستعمار ، خطأ ، عند ما عمد الى فصل القيادة السياسية البورجوازية المتذبذبة، باعتقال أفرادها ونفيهم، عن القاعدة الجماهيرية الشعبية ، الواضحة سياسيا واجتماعيا والساخطة على النظرة البورجوازية للمهام المطروحة في سبيل النضال ، والناقمة على نظام القيم البورجوازية في معالجة أسلوب هذا النضال .

والحاصل أن الاستعمار كان أسرع الى النقد الذاتي وأوعى لنتائج خطأ سياسته . فقد استنتج من الاقدام على عمليات اعتقال القيادة السياسية ونفي الملك خلاصة فرز سياسي واجتماعي أدى الى تفجير طاقات الجماهير الشعبية المغربية، والى توضيح مهامها الوطنية والسياسية والاجتماعية .

فقد كانت القيادة السياسية تلعب ، موضوعيا وبوعي ، دور المهرج الغامض، بل عامل ردع ومراقبة القواعد وذلك خشية وقوع ما سمي "بسقوط المبادرة في يد المغامرين" .

واستخلاصا لهذه العبرة، عمد الاستعمار الى ارجاع عوامل المراقبة والتجميد كأذرات للاجهاض، بعد أن قطعت الثورة أشواطا ليس فحسب في توحيد النضال داخل المغرب، بل أيضا في سبيل وحدة النضال على مستوى المغرب العربي

وعلى مستوى الوطن العربي .

وقد ورث الحكم الاقطاعي الملكي العبرة بدوره ...

فالنظام يسلك باستمرار القمع الانتقائي داخل القواعد الحزبية، دون التعرض — بل بالعكس من ذلك مداراتها واستمالتها — للقيادة الحزبية الاتحادية في جميع خططه القمعية طيلة هذه الحقبة الزمنية .

وما تصريحات وزير الداخلية المغربي ، في ندوته الصحفية، غداة الاستفتاء الأخير، الا اعترافا واضحا وصريحا بهذه الحقيقة . فقد نوه الوزير بقيادة حزب الاتحاد التي فصل موقفها عن موقف القاعدة !

كما أن جوهر ملاحظات الملك بعد الاطاحة بنظام شاه ايران لا تخلو من مغزى يصب في نفس الاتجاه .

تجربة عبد الكريم الخطابي :

ورغم مرور الزمن، وحدوث بعض التغييرات بعد هذه التجربة، فان القيادة السياسية بقيت بعيدة كل البعد من استخلاص العبرة ومراجعة الموقف بنقد ذاتي يتلاءم وضرورات المراحل . ولسيما أن تاريخ النضال التحرري في المغرب لا يخلو من أمثلة مماثلة لأسباب اجهاض الثورة ابان معركة الاستقلال .

ودون الرجوع الى التجارب التي سبقت أو تلت فرض الحماية على المغرب ، في أوائل هذا القرن، يكفي الوقوف عند تجربة القائد عبد الكريم الخطابي لما لهذه التجربة من ارتباط زمني وعضوي معاصر لقيادة الحركة الوطنية السياسية الحالية . فهي كافية لاعطاء الدليل على أن فرص النقد والمراجعة متوفرة غنية العبرة .

الا أن جوهر غياب استخلاص هذه العبرة يكمن في اختلاف منطلقات الحركة الوطنية السياسية عن منطلقات حركة عبد الكريم ومنطلقات التقليد الثوري في المغرب . كان ذلك جليا في المستوى الشخصي أو الانتماء الطبقي . كما كان ذلك واضحا في طرح القضايا العميقة التي تتجاوب مع تطلعات الجماهير الشعبية الكاملة الجوانب : السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ان الثورة التي قادها عبد الكريم الخطابي كانت تتميز بالابداع في الرؤيا الاستراتيجية وفي التنظيم وفي استعمال الوسائل النضالية الحديثة . بل كانت ابداعا بالدرجة الأولى

في اختيار عمقها وسندها السياسي والاجتماعي، في اختيار الفلاح كمنطلق لها وفي الربط بين الاستعمار والحكم الاقطاعي، وكذا في النظرة الشمولية لقضايا ثورة تحررية جذرية.

بينما كان العمل السياسي الذي انطلقت منه الحركة الوطنية تقليدا لمثيلاتها بالشرق العربي، وتطورت بعد ذلك نحو مواقف استلابية سطحية قردية للبورجوازية الأوروبية، دون الانتباه لخصوصيتها وأوضاعها الاجتماعية. ولذلك، وبحكم طبيعتها أدارت ظهرها عمدا للمعارك التي كانت لا تزال آنذاك على أشدها، لتتجه نحو منطق المساومة والتبرير والمراوغة والتكتيك. وللتملص من المعركة الحامية اختارت الحركة الوطنية التوجه نحو شرعية الوضع القائم كلما وضع الاختيار بين النضال الجماهيري والتعامل مع شرعية الحكم. وهذه المواقف كلها — بطبيعة الحال — مرتبطة بالانتماء الطبقي لهذه القيادة السياسية ونشأتها والمحيط والأجواء التي تطرح فيها القضايا السياسية.

فالمتداول في هذه المحيطات والأجواء يتعلق بالنجاح في الحياة عن طريق اتقان أساليب التجارة الطفيلية، الداخلية والخارجية، التي لا علاقة لها بالانتاج وبالكد والجهد، بل بواسطة الارتباطات والحيل ومهادنة الأوضاع القائمة أكثر مما هو متعلق بالتحليل السياسي والتنظيم النضالي.

تماما عكس المنطلقات التي لها علاقة بوضع الفلاح من كد وجهد والتي تعتمد الدفاع والحرية والصرامة في العمل.

لذا، عوض النقد والمراجعة التي تستلزمها فترات دقيقة من نضال الشعب المغربي، نرى هذه القيادة السياسية تلجأ الى مواقف الخذلان والادانة: ادانة المقاومة ونصب العداء والحصار لعبد الكريم الخطابي من طرف مكتب المغرب العربي في القاهرة، وادانة جيش تحرير الصحراء.

وبالاختصار، وبشهادة ثورات ناجحة في جميع أنحاء العالم: الصين منها والفيتنامية والكوبية وغيرها، فان تجربة عبد الكريم الخطابي كانت تجربة رائدة في العالم المتحرر.

وبالعكس من ذلك، بقيت منطلقات الحركة الوطنية وهي تكرر القوالب الجامدة الجاهزة لتصل في نهاية المطاف الى المأزق الحالي.

اذ أن الأوضاع الشعبية المتحررة من المعوقات الحزبية، بسبب مأزق القيادة أو الفراغ القيادي داخل الأنظمة الوطنية، هي التي ساعدت على استسلام المبادرة

النضالية من طرف المقاومة وجيش التحرير، لتجعل الأوضاع المتشابهة آنذاك في كل قطر من أقطار المغرب العربي واجهات ساخنة ضد الاستعمار. ويمثل هذه الواجهات والأعماق المتكاملة وتحدى المعوقات، يمكن تحرير كل المغرب العربي من الاستعمار والعملاء ليكون مثلما كان بالأمس عمقا ورصيدا للقضية العربية كلها.

* * *

عناصر المبادرة :

1) نقط القوة الضمنية

1) الصحراء

ان قضية الصحراء قضية وطنية مثلها في ذلك مثل سبتة ومليلية والجزر الجعفرية، كلها قضايا تهم الشعب المغربي بأكمله. بدون تحرير الصحراء وباقي الأجزاء الأخرى يبقى تحرير التراب الوطني غير كامل.

وبالتالي فان تحرير الصحراء والمناطق الأخرى التي لا تزال تحت سيطرة الاستعمار الاسباني ضرورة وطنية ملحة.

لذا، فمن الخطأ الفادح حشر هذه القضايا الأساسية في خضم من العوامل التكتيكية اليومية المتعلقة بالإنفتاح أو الانغلاق تجاه الحكم.

فالموقف السليم لكل حزب سياسي يستهدف تحرير الجماهير الشعبية، هو التوجه نحو هذه الجماهير الشعبية لتنظيمها وتعبئتها لتحرير نفسها تحريرا شاملا: سياسيا (وفيه تحرير التراب الوطني واستكمال وحدته) واجتماعيا واقتصاديا.

ان تحرير التراب بدون تحرير المواطن مغالطة لا يمكن أن تؤدى الى تجنيد وتعبئة الجماهير الشعبية من أجلها.

ان قضية الصحراء لهي من المخلفات الاستعمارية التي خلقها لتحصين مواقعه في تجزئة المغرب العربي.

أقام الاستعمار حدودا مصطنعة لحماية مصالحه، ونهب الخيرات المعدنية والطاقات البشرية، وجعل من الصحراء طوقا طبيعيا واقيا لهذا الواقع الاستعماري على مستوى المغرب العربي.

2) الانفتاح الدبلوماسي والانفتاح السياسي

واذكاء لهذا الواقع، نرى الآن محاور استعمارية متعددة الأشكال والألوان تخرج

الى الوجود .

القصد من هذه المخططات والمحاور كلها ، هو تثبيت التقسيم القانوني ، المكرس بالواقع بالحواجز النفسية المصطنعة عن طريق شوفينية قطرية عصبوية مفتعلة ، وتوجيه كل الروابط الاقتصادية والتجارية والثقافية والسياسية نحو محاور وتحالفات استعمارية صرفة الهدف : تارة يظهر على المسرح السياسي الدبلوماسي محور مدريد الرباط باريس وتارة نرى محله ، أو يتواز معه ، محور تونس الرياض مصر اسرائيل أمريكا الرباط . ولتغطية أهداف هذه المحاور الاستعمارية المصلحة ، يذر عليها تاكتيكيا غبارا من التفتح نحو الديموقراطية والسيادة الشعبية ، تفاديا للانفضاحها أمام الشعب ، وكمحاولة للتخدير وتكثيف الغموض .

وباسم التفتح الدبلوماسي هذا المصحوب "بتفتح " داخلي ، تصطاد القيادات الحزبية الوطنية ، كما تصطاد القنابر بالمرآة .

فتبدأ الدوامة من جديد . والقصد هو مراقبة الشعب وتجيمه والحيلولة دونه والانفجارات الجماهيرية .

3) الجزائر

بقطع النظر عن العوامل الذاتية التي تسود علاقات الحكام ، فان المميزات الأساسية التي تتميز بها أوضاع شعب الجزائر ، يمكن اجمالها كما يلي :

* تقييم ومراجعة المرحلة التي قادها الرئيس الراحل الهواري بومدين .
* التوجه لكل المغرب العربي كاطار للخروج من المأزق وبناء البديل .
* انفتاح كل التيارات المتواجدة على الساحة السياسية الجزائرية ودخولها مع بعضها البعض في حوار ونقاش ضمن البحث عن العوامل السلبية وأسباب الضياع ، وبلورة البديل الديموقراطي ، وذلك بتكريس الأوضاع الحالية ودعمها .
* الوعي بوجود طبخات استعمارية كبديل للأوضاع الحالية على مستوى المغرب العربي ، وذلك من داخل المؤسسات الحالية في كل قطر من أقطار المغرب العربي قصد ضمان مصالح الاستعمار وتعزيز الأنظمة الموالية له بنسف بدائلها الديموقراطية .
* استخلاص العبرة من التجربة والاعتراف بأن سياسة الاستقواء على الشعوب بالاستعمار من طرف الأنظمة ، والتخطيط لموقف مشترك مع الاستعمار للزج بالشعوب في معارك مصطنعة بين بعضها البعض ، سياسة اجرامية يجب أن تدان والى الأبد .

* جعل حد للصراع والاحتراق الداخلي الذى يهيمن على علاقات التنظيمات الوطنية الجزائرية والمغربية العربية، والتوجه بذلك ضمن الحوار الديموقراطي في جعل الأحزاب والتنظيمات مواقع للتعبئة النضالية، أى كوسيلة للتحرير وتوحيد الصراع وتوجيهه ضد خصوم هذا التحرير.

* نقل النضال في اطار نظرة شمولية نحو بناء المغرب العربي.

وهذا التوجيه الجديد كان نتيجة جهد فكرى نقدى للتجربة السابقة، حيث استظهر هذا الجهد القوات المستفيدة من الوضع السابق ومن المخططات الهادفة الى التشتيت والتمزق والضياع بين الشعبين الجزائرى والمغربي ومصيرهما المشترك.

ويشكل هذا الوعي في نظرنا حافزا ايجابيا في تجاوز التناقضات الجزئية على كل المستويات. كما يشكل رغبة أكيدة في متابعة وحماية الجهد المتكامل للارادات الجماهيرية في كل من المغرب والجزائر.

فقد أصبح واضحا، والشعور سائد، أن نعم مصير الجزائر لا يمكن أن يتم على حساب بئس مصير المغرب. وأن قوة بلد منهما لا يمكن أن تنتج عن ضعف أو اضعاف البلد الآخر، بل المصير مصير واحد.

وسعادة هذا المصير متوقف على توحيد الجهود وتوحيد القوات في مواجهة القوات الامبريالية الاستعمارية.

كما أصبح واضحا الآن أن تقسيم أساليب العمل بين "مغرب السيبة" و"مغرب المخزن"، بين الجهد العضلي والجهد الفكرى بشكل يضع الواحد موضع الاستغلال والآخر موضع المستثمر، عمل خاطئ، يجب أن يحل محله جهد موحد وأسلوب موحد وتضحية موحدة لصالح شعب واحد متلاحم متساو، لا مكان فيه لاستغلال جهد طرف من قبل الطرف الآخر، ولا تكريس التضحيات لحساب الأشقياء والسعادة لحساب المترفين.

وهذه العناصر بطبيعة الحال عناصر جديدة ايجابية لا شك أنها كانت تكون دائما تطلعات الجماهير الشعبية الجزائرية الراسخة.

غير أن سيطرتها على الساحة السياسية اليوم، يجعل من الوضع في الجزائر وضعا أكثر ايجابية من ذى قبل. كما أن هذا التيار يسمح بالتوجة توجها مشتركا على مستوى المغرب العربي لتكامل المواقع النضالية ضمن قبول التنوع قصد اغناء وتعميق الوعي بالحوار، وصولا للقناعة بالمصير الواحد.

وبهذا تكون ومن مخطف مواقعنا قد توصلنا الى تجاوز السلبيات ومسبيبها معا .

وبهذا التوجيه ، تتحول الحدود القطرية من ميدان المواجهة والصراع المصطنع ومن ستار حديدي كما أراد لها الاستعمار، الى مجال للتفاعل وبناء الجسور كأعمدة للمستقبل الموحد ، طبية لطموح الشعوب .

2) نقط الضعف

1) مواقع الحكم في الحزب .

ان الفرز بين موقعين أساسيين في التنظيمات السياسية ، موقع الحكم وموقع الشعب، ومصلحة الحكم ومصلحة الشعب، يبقى ضرورة أساسية من الضروريات الوطنية . ان أي موقع سياسي يستهدف المساومة أو يتربى على هذه المساومة والكسب من الحكم مقابل تمييع النضال باقامة ازدواجية بين الموقع السياسي والموقع المصلحي يجب نبذه واستئصاله نهائيا . فوجوده غير موضوعي . وان الذي سمح بوجوده حتى الآن، هو الخلط والغموض المتعمد وجود هما من الطرفين الضالعين في الاستفادة المرتبطة مع الاستعمار على حساب الشعوب .

يجب ادانة ظاهرة التسلية بالمعاناة والشقاء في العمل والحقل أثناء المسامرة في الصالونات والادارات والمكيفة .

ان تصريف الجهد النضالي للمناضلين في المساومات، بعد التسلية به في الصالونات المكيفة، أسلوب مائع يجب قطع دوابره . فالمساواة تمر عبر المساواة في الجهد النضالي .

لذا، أصبح من الضروريات المطروحة بالحاح ، محاصرة وتطويق النوعيات المرتبطة بالحكم مصلحيا داخل الحزب والمشبوهة العلاقات. والانتقال بالعمل التوجيهي من الحلقيات والكواليس لجعل الحقائق في متناول القواعد ، كما يجب الكف عن أساليب الاستخبارات المقصودة أو الموضوعة كوسيلة لفرز الساحة النضالية وتطهيرها بواسطة الشرطة عمدا أو صدفة . ويجب استبدال ذلك بالحوار البناء والقبول بالتنوع والتكامل كطريق للوحدة النضالية . كما يجب الحفاظ على هذا الحوار ضمن اطار حزبي يوفر الأمن من أجل انضاج البدء في نقاش قاعدي بين قواعد الداخل والخارج في جو ديموقراطي ترتبط فيه المرحلة الوطنية بالعمق الاجتماعي ، ويرتبط فيه المستقبل بالحاضر .

2) أسلوب آخر للبناء التنظيمي .

ان التنظيم على أسس سليمة وصريحة يستلزم الفرز مما هو غريب عنا وعن القناعة بمصير الجماهير المغربية العربية المشترك، والانفتاح على ما هو مناوخطط في اتجاهنا ليحل محل الغريب عنا . والهوية النضالية أساس لهذا الفرز. كما يكون الحوار أسلوبا لدعمه .

ان أسلوب طمس المشاكل الجوهرية بالمواقف العاطفية، قد أذاقتنا التجارب السابقة منه الأمرين . فتجربة حزب الاستقلال مع المقاومة، واستغلال ثقل المرحوم علال الفاسي في تغليف المسائل الجوهرية بابراز الوحدة اللازمة وسط تصفيقات ومظاهر فلكلورية، يتنافى مع ضروريات التنظيم السليم، كما وهو يتنافى مع تطور الوعي عند مناضلي الجماهير الشعبية .

ان الأسلوب الذى ساد في الاتحاد الوطني ابان مؤتمره في سنة 1962 خصوصا، في توجيه النقد واللوم للحكومة بدل النظام، أسلوب لم يعد ينطبق على الواقع النضالي الحاضر. وان استمرار الاتحاد الاشتراكي في مثل هذه الأساليب نعتبره مغالطة خطيرة . اذ أن نظام الحكم في المغرب لا يبث من قريب ولا من بعيد لا الى المؤسسات ولا الى الأحكام ولا الى المقومات التي تكون الرأى العام الأوربي ذو الأنظمة الملكية الرمزية، والتي تتبنى فيها الأحزاب السياسية مثل هذه الأساليب.

3) التنظيم والعقيدة .

ان التنظيم السياسي لا يمكن فصله عن القضايا الوطنية المطروحة ومفهوم التحرير. اذ أن الفصل بينهما يؤدى ، وقد أدى فعلا، الى تشرذم القوات السياسية والزج بها في مواقف اليأس أو الهروب الى الأمام.

والنتيجة أن الاستعمار استطاع بسهولة أن يكون عنصرا مخططا خارجيا للتنظيمات، وفي مثل هذا الجو يكاد يكون مقياس الفرز هو رصد علاقة الحكم بالشعب من خلال التصفيات والاعدامات لتظهر روابط الحكم بالاستعمار. والاستعمار ينمي ويحسن استغلال التعارض بين القيادة المرتبطة به والقيادة المتصدية للتطلعات الشعبية، حيث يلتقط هذه الظاهرة ويوظفها طوقا للشعب من أجل أن يعمق حماية مصالحه ويقوى تحالفاته الرهيبة مع كل المستفيدين عن طريق التبعية من هيمنته والعمل من أجل الاستزاف المادى والمعنوى.

وهكذا يتضح أنه بدون الفرز النضالي تبقى مخاطر الانتهازية تهدد كل عمل أو بناء سياسي . كما أن المثالية التي تطبع عادة حياة الشباب والمثقفين على العموم يعرض الحياة السياسية لمخاطر القفز والهروب للأمام من جهة، والتبرير بالكلام والالتواء ثم القبول بالأمر الواقع في نهاية الأمر .

فبدل مواجهة الواقع الملموس من أجل تغييره ، يلجأ الى حتمية تاريخية وهمية تتولى تطوير وتصريف الأمور . والحقيقة أن لا وجود لحتمية تاريخية منفصلة عن العامل الذاتي الذي يدفع بها نحو التغيير الحتمي . وعوض هذا العمل النضالي الارادي، نرى الأسلوب السائد هو الدفع بالأشخاص لمواجهة العلاقات والاعلام في المحافل والمناسبات والتظاهرات قصد تطميعه عن طريق تسليط الأضواء عليه أمام الميكروفونات أو بواسطة العلاقات الخارجية استبدالا للصقل بالنضال .

وكل هذا بطبيعة الحال يشكل عوامل سلبية تتم وتتراكم على حساب الخط السياسي لصالح بعض الأشخاص، وعلى حساب النضال لصالح الانتهازية . والحقيقة أن لا مكان لنجوم السينما في الميدان النضالي .

4) المثقف بين نزوعه الوطني والدوامة الاستهلاكية .

ان الصفوة المثقفة تبقى دائما مترددة بين منابعها الاجتماعية من جهة ومنابع ثقافتها ومصالحها المادية من جهة ثانية ،يتجاذبها هذان العاملان في ازدواجية مضطربة ومتناقضة بين الاختيارين : الاختيار الوطني الشعبي والاختيار الاقطاعي الاستعماري . الاختيار بين المصلحة الفردية والخيانة الطبقية . الانسجام والتماسك في الهوية بين التوجه الى المنابع الحضرية الأصيلة أو الانسياق مع الاستيلاب الثقافي و والأيديولوجي .

وهكذا ، فعوض أن يكون العمق الاجتماعي مرتبطا بالثقافة الوطنية، وهما معا عاملان من عوامل الفرز، نرى الثقافة والمصالح الاستعمارية يأتلفان في أداة للخلط والتدجين، في تغطية الجوهر الاستعماري بالشكل الوطني .

هذه الوضعية هي التي أدت الى احجام مثقفينا عن تجاوز الحدود المقبولة من طرف السلطة . كان ذلك موقفهم بالأمس في عهد الاستعمار تجاه المقاومة وجيش التحرير ولا زال هذا هو موقفهم اليوم من الصراع مع السلطة الاقطاعية الطبقية . ونتيجة لذلك تكون مواقف القيادة السياسية المكونة من هذا النوع من المثقفين دائمة القصور

ودون مستوى التضحيات، أوقدرة التضحيات التي تبذلها الجماهير الشعبية، بل أدهى وأمر، أن هذه التضحيات لا تعدو أن تكون بالنسبة لهذه النخبة الا وسيلة للمساومة مع السلطة. وشعارها على الدوام، هو" طالب وخذ " بينما شعار الجماهير هو "ناضل وانتزع". اذ كما أن التوسل مرادف للطلب، فان الحق مرادف للنضال. واذا كان الانتزاع، في مستوى المبادئ لا يحتمل المساومة، فان الأخذ لا يستلزم سوى تسلم البضاعة.

وطريق الوصول الى هذا الوضع هو استدراج المثقف للتنكر لمنبعه، وبالتالي قابل للتكييف مع جو المساومة و منتزع الجذور الثقافية والاجتماعية، وموضوعا قابل لبيع طبقته وخيانتها.

5) المثقف غير المرغوب فيه.

كان الاستعمار بالأمس، وحل محله اليوم الحكم الرجعي في هذا الدور، هو الذي يقدر ويحدد العناصر المثقفة الذين تجاوزوا الخط الأحمر، ولم يتركوا وراءهم مجالا للتراجع.

كان المرحوم المهدي بنبركة أول المثقفين من القيادة السياسية لحزب الاستقلال الذين اعتبرهم المقيم العام للحماية قد تجاوزوا الخط الأحمر، ولذلك أصبحوا غير مرغوب فيهم. فاعتبر المهدي خطرا على مصالح فرنسا وعدوا لذوذا لها. كان المهدي أول من نفي من القادة السياسيين وآخر من أرجع من المنفى بعد الانفراج السياسي الذي أقرته الادارة الاستعمارية الفرنسية، في الوقت الذي كانت فيه المعركة حامية الوطيس، كما رأينا على مستوى جميع أقطار المغرب العربي تمهيدا لمفاوضة اكس لبان التصفوية.

كما كان المرحوم المهدي أول من أدى الثمن بحياته من المثقفين البارزين في قيادة حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في عهد الحكم الاقطاعي.

ورأينا بعد ذلك أن الأجل المضروب للمرحوم عمر بنجلون ليتراجع عن هذا الخط الأحمر، لم يتجاوز سنتين من العمل السياسي داخل حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية.

وبنفس المقياس بقي القائد عبد الكريم الخطابي في المنفى حتى الممات رغم استقلال بلاده.

6) المثقف والوعي .

فدور الثقافة في تطوير الفكر السياسي والوعي النضالي واضح . والخلل في التجربة النضالية المغربية واضح كذلك . هو غياب علاج الفكر السياسي بالفكر النضالي الوطني من أجل التحام هذا بذاك وتطابقهما .

ويرجع بذلك جذور الثقافة الأصيلة، عبر القيادة السياسية والفكرية الثقافية الى العمق النضالي لدى الجماهير الشعبية، وبكف من تم عن مواقع المساومة بتضحيات هذه الجماهير. وعلاج الثقافة بطبيعة الحال لا يمر من اقتلاع جذور الثقافة من مغارسها . بل بالاعتناء بها وتجذيرها أكثر عمقا في منابعها الخصبة .

ويمكن اذ ذاك الأمل في ثقافة ابداعية مغذية مقوية منشطة لقيادة سياسية راسخة الجذور، وبالتالي مؤهلة لتقلد مهامها النضالية الوطنية، وقادرة على أخذ المبادرة في ميداني التأصيل والتحديث معا .

اصلاح أوضاع علاقة الجماهير بالقيادة، وهذه بالثقافة الأصيلة، يستلزم استئصال الجذور الاستعمارية والاقطاعية في كل الميادين حتى لا يبقى هناك لا بائع ولا مشترى ولا مساوم ولا مساوم فيه .

نبذ أسلوب الصفقات في القضايا السياسية والوطنية .

وبنبذ هذا الأسلوب، نكون قد قضينا على عادة التوجه باللوم والشتائم كلما حدثت عوامل كدرت صفو المساومات والصفقات التجارية .

ويستعاد بذلك منطق مصالح الجماهير الشعبية وتقييم تضحياتها على غرار ما قاله القائد السندياني ايدين ساستورا قبل سقوط نظام سموزا، حيث قال وهو يشير للتضحيات النضالية للجماهير الشعبية : "ان ثمن الحرية في نيكاراغوا يساوي موت 30 أو 40 ألف من سكان نيكاراغوا الذين يبلغ عددهم مليوني وثلاثمائة وخمسة وعشرون ألفا ".

لا بد من جعل القيادة السياسية والواجهة الفكرية مواقع نضالية ومرآة تعكس عن صدق ووعي طموح الجماهير في تغيير عناصر الوضع الحالي تغييرا جذريا في التحليل .

وسيكون ذلك خطوة أولى نحو مواجهة الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي كرسه التحالف الاستغلالي بين الاستعمار والاقطاعية وتوابعهما الطفيليين في الميادين الثقافية والتجارية والادارية .

الدفع بالفرز الحقيقي لتمزيق الأقنعة وفضح "العاملين للشر والمسبحين للخير".

3) مناهج النظام الاقطاعي في الحكم.

1) " الاصلاحية "والنضال :

ان الحسم في قطع دابر المغالطة والتردد يقتضي التأكيد على أن الاصلاحية تعني في المغرب بالذات الازدواجية بين المصالح المتناقضة والولاء والوئام بين مستحيلين متنافرين: الوئام بين مصالح الاستعمار والاقطاع من جهة ومصالح الشعب المغربي من جهة ثانية.

واذا كانت البورجوازية الطفيلية بذيولها البيروقراطي والتكنوقراطي هي التي تتولى قيادة القضايا الوطنية على الساحة السياسية بمفهوم الازدواجية، فانه من الحتمي والطبيعي أن تؤدي هذه الممارسة الى نتيجة التمييع والضياع واهدار طاقات الجماهير الشعبية بالمقامرة والمساومة، كما أنه من المنطقي أن يؤدي هذا السلوك الانتهازي الى تقليص العمل السياسي من عمقه الستراتيجي في البادية الفلاحية، ويتقمص محاصرا في بعض المدن الساحلية حيث تسيطر هذه الفئات الطفيلية اجتماعيا واقتصاديا، وغير مستغرب تماما أن تتساق هذه الفئة في مخطط الحكم الاستعماري في التسليم بتطويق البوادي الفلاحية تفاديا من أن ينتقل التنظيم والتوعية الى ساحتها ما دام الكل يرى فيها مجالا مشتركا للاستغلال.

ان التاريخ والنظرة السليمة للمستقبل يجمعان على أن نقطة الحسم ضد الاستعمار وضد التخلف يكمن في توظيف الجهد التنظيمي والتوعوي، وبناء جسور تربط بين مواقع العوامل النضالية وقلاعه المحصنة في أعماق الفلاح.

كما أن العطى النضالي في الحزب يستلزم ترابط القيادة بالقاعدة ترابطا عضويا يضمن التفاعل والتجاوب، ويجسم الازدواجية الحقيقية ويفوز مواقعها عن مواقع الحكم. وأن السبب في تطابق مواقع الحكم بمواقع الحزب هو وجود عناصر تكنوقراطية طفيلية تجارية مساومة في قيادة الحزب، وأن هذا التطابق لم ينتج عن صدفة. انه تطابق ارادي مقصود ومدعم من طرف الحكم بواسطة جسور محكمة الأطناب والروابط تربطها بالحكم والاستعمار بمزيد، ولمزيد، من دعم لمصالح شخصية وفئوية لهذه العناصر التي تتكلف بدورها بحماية مصالح الاستعمار على حساب مصلحة

الشعب المغربي .

ووسيلة القيام بهذا الدور أحسن قيام هو بطبيعة الحال احتفاظ هذه العناصر بالولاء المصلحي للاستعمار، والحضور الشكلي مع الجماهير.

نفس المخطط داخل الجيش .

وما المخططات التي استهدفت الحركة الوطنية المغربية الا تكرارا لما تعرض له الجيش المغربي من طرف الاستعمار الفرنسي .

فاذا كان دور جيش "النايبة" هو الدفاع عن التراب وحماية الشعب، فان دور جيش" المحلة" هو القمع والبطش بالمواطنين و ممتلكاتهم.

فقد استمرت الحالة كذلك الى أن احتدمت أطماع الاستعمار الفرنسي على المغرب من جراء تنافس القوات الاستعمارية الأوروبية حول افريقيا .ووجد الاستعمار في جيش "المحلة" جسرا لمطامعه نحو خيرات البلاد الطبيعية وطاقاتها البشرية .

وبعد أن استتب الأمر للاستعمار واستولى على السيادة الوطنية بجميع أوجهها، خرج بمخطط شكلي ، جوهره استعماري في التكوين والأهداف :

خلق الاستعمار على أنقاض جيش" النايبة" جيش " الكوم" وأطره بضباط الفيلق الأجنبي "للجيون" ، وكرس مهمته في قمع المواطنين، أي قمع كل حركة تتصدى للمطالبة باستعادة السيادة الوطنية .

كان دور جيش " النايبة" هو الدفاع عن حوزة الوطن وحقوقه . وكان دور جيش "الكوم" الذي خلقه الاستعمار، هو سحق كل مبادرة تستهدف ارجاع السيادة الوطنية .

كان جيش "النايبة" مرآة للمجتمع القروي المغربي بكل مظاهره السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية فحل محله جيش مشوه تتحكم فيه ارادة أجنبية، وتحدد له مهامه القمعية ليس فقط، على المستوى الداخلي ، بل على مستوى مصالح الاستعمار الفرنسي أو الاسباني في جميع أنحاء العالم. شارك جيش" الكوم " في الحرب الاستعمارية ضد شعب الهند الصينية وضد شعب سوريا ، كما شارك في الحرب العالمية الى جانب فرنسا في معارك بايطاليا وألمانيا واسبانيا حيث ساهم الجيش المغربي في انجاح النظام الفاشي الفرنكي .

كان أول رد فعل لهذه الأوضاع المزرية التي سلبت السيادة الوطنية ومسخت رمز الدفاع عنها ، هو انفجار ثورة عبد الكريم الخطابي في الريف، حيث استمدت روحها من قوة الفلاحين وتقمصت رمزه ، الجيش الشعبي ،كوسيلة لاعلان الثورة واسترجاع

سيـادة الوطن .

أمـارد فعل حكم الاقطاع غذاة الاستقلال ، فقد كان أن قرر جعل نواة جيشه الملكي هو جيش " الكوم "، فسمـاه الجيش الملكي .

وكانت التسمـية في نفسها ترمـز الى قطع هذا الجيش عن منابعه الطبيعية . كان جيش " النايبة " وكان جيش الثورة في الريف مـرآة تعكس أوضاع المـجتمـع المغربي في البادية الفلاحية ، فأراد الاقطاع أن لا يعكس سوى مـصالح نظامـه العمـيل .

غـير أن الواقع والتجربة أبانت له أن قطع الجيش عـن منابعه ، ولا سيمـا المنابع الفلاحية ، حيث يهيمـن الشقاء والاستغلال والقمـع ، وحيث ينعكس آثار ونتائج هـذا الشقاء وهذا الاستغلال المـصحوب بالطغيان ، تبقى عمـلية صعبة المـنال .

فبعد مـذابح الريف سنـة 1958 ، التي كان الملك ينفذ فيها بذبح المـواطنين على أقدامـه ، وبعد مـذبحة الدار البيضاء سنة 1965 ، التي استعمـل فيها الجيـش ضد الشعب في الشوارع والأزقـة ، وبعد تجربة زايير الأولى التي استعمـل فيها الجيش المـغربي ضد شعب الكونغـو ، انفجر التناقض في صفوف الجيش المـغربي ، بين المـنبـع الفلاحي الذي ينتمـي اليه في أغلبيتـه ، والذي يعكسـه بتطلعاته وآمـاله ، وبيـن الأغراض التي يُستعمـل فيها باستمرار والتي تتناقض تمـام التناقض مـع مـصالح مـنبعـه ، فكانت مـحاولات تخجير تناقضات الوضعيـة والرجوع الى المـنبع : مـحاولة الصخيرات سنـة 1970 ، مـحاولة القنيطرة سنة 1972 .

وبالتالي ، فكل صفقة سياسية أو تجارية تستهدف مـصالح الشعب المـغربي الا وانعكست في صفوف الجيش المـغربي كصفعـة عـنيفة تهز شعوره وكيانه . فقد كانـت صفقـة " الرانش " في الأطلس المـتوسط في بداية السبعينـات مـن الأسباب الأساسية التي عجلت بمـحاولة الصخـيرات .

و سبـق ذلك زلزال أكادير ومـا سببه مـن اضطهاد واستغـلال ونهب ورشوة وبناء ثروات فاحشـة باسم اعـادة بناء أكادير . كما كان الحال كذلك عـند مـا استغـل الحكم الاقطاعي ذريعة مـشاركة الجيش المغربي وتضحياته في القضيـة العربيـة الفلسطينية في الجـولان ، كثمـن لتغـويت هذه القضيـة العربية الجوهريـة لصالح اسرائيل .

وهذه هي الحالة الآن في مـشكلـة الصحراء . فالجيش المـغربي يعتبر الدفـاع عن الصحراء دفـاعـا عـن الوطن ووحدة ترابه ، وهو لا يذخر في ذلك لا جهدا ولا تضحيات

بطولية .

غير أن الجيش المغربي بدأ يشعر بالتخاذل من الوراء: فالحكم يستعمل معاناة الجيش المغربي ومحنته في الصحراء لانهاكه والدفع به مع الزمن لمطالبة السلم والمساومة ليظهر الحكم كمنفذ لرغبات الجيش في السلم والمساومة . وفي الوقت نفسه يبذل الحكم الاقطاعي قصارى جهده لتأليب القوات السياسية الوطنية المدنية ضد الجيش المغربي بدعوى حماية " المؤسسات الديموقراطية " من مبادرة مغامرة من طرف الجيش .

كما تصحب هذه الخطة الانتقائية التي تستهدف محاصرة الجيش المغربي ، مثله في ذلك مثل العمق الفلاحي الذي حرمت منه كل مبادرة توعوية ، تصحبها خطة ثانية هدفها تأطير الجيش المغربي بعناصر بورجوازية منفصلة عن العمق الفلاحي والتطلعات الشعبية العميقة .

وتستهدف الخطة هذه هدفين أساسيين :

أولا : اقامة حاجز بين صفوف الجيش المغربي ومنبعه الاجتماعي تفاديا لانعكاسات القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، داخل الجيش .

ثانيا : العمل على بناء حاجز لهذا الغرض يتكون من عناصر تنتمي الى البورجوازية الطفيلية التي لها اهتمامات تطابق اهتمامات النظام الاقطاعي المبني على تحالف فئة من الطفيليين مع مصالح الاستعمار .

فيكون بذلك الجيش المغربي صورة مصغرة ، ليس للمجتمع المغربي على حقيقته ، ولكن للتحالف الاستعماري الطفيلي .

وكان الجيش المغربي قبل أن تنال منه مخططات الحكم الاقطاعي هذا المنال التفسخي عبارة عن جيش شعبي بكل ما في الكلمة من معنى . فقد تبلورت خصوصياته دائما في جيش "النايبة" .

كان الجيش المغربي ملتقى القيم الوطنية التي تتقمص مبادئ الدفاع عن حوزة الوطن ومصالح وتطلعات جماهيره على كل مستوياتها . كان جيشا شعبيا حقا ، بنظام التجنيد ونظام الترتيب العسكري ، كما أنه كان كذلك بنظام التمويل ، جيشا شعبيا يعكس هويته حتى في قوته اليومي . وهذه الهوية الراسخة في عمقه القروي هي التي جعلت من جيش عبد الكريم الخطابي جيشا نضاليا لا يقهر . فقد كان تكوينه ومصلحته وأهدافه هي بالذات التكوين الاجتماعي المغربي المبني على الكد والجهد والمصلحة

العليا للجماهير الكادحة، كما كانت أهدافه هي التطلع الى حياة حرة، خالية من الاستغلال، عادلة مزدهرة.

كما كان جيش التحرير بالأمس القريب صورة صادقة لهذا التطابق الاجتماعي بين الجماهير الشعبية الكادحة، في المدن والقرى، ومناضليه المسلحين في الجبال والأرياف، يكافحون من أجل هذه الجماهير ويشتّون معها ويعيشون.

وكان هذا الجيش الشعبي بعيدا كل البعد عن نمط نظام جيش "المحلة" المخزني الذي يؤلف وينظم في مهمة قمع الشعب وقهره وفرض ارادة المخزن عليه كيفما كانت دوافع وأهداف هذه الارادة.

كما كانت أطر جيش المخزن هذا، تعيش عيشة البذخ والترف على حساب عناء وشقاء ونهب ثمار كد الجماهير الشعبية.

وهذا هو ما يراود الحكم الملكي الرجوع اليه : ضباط يعيشون من الاستغلال لكي يبقى مصيرهم مرتبطا بمصير النظام المبني على التحالف مع الاستعمار في استغلال ثمار وخيرات الشعب المغربي.

4) المخطط التفسخي المعمم.

1) التزييف الديني.

من مناهج الحكم في تحريف وتزييف مقومات المجتمع المغربي، قصد نخرها واضعافها، وبالتالي استدراجها واقحامها في نظامه الاقطاعي الطفيلي الاستعماري، تشويه العقيدة الدينية للشعب المغربي.

فاذا كان الدين الاسلامي، منذ ظهوره في الجزيرة العربية، منطلقا و موقعا للتحرر من الطغيان والاستغلال والتشرذم والتمزق، بل اذا كان الاسلام موقع التصدي لبناء مجتمع عادل مبني على المساواة والحرية، ونبذ كل شعوذة وكل مظاهر الاستعباد وعبودية الأصنام، فان مخطط الحكم الاقطاعي يحاول اليوم تحريف هذه العقيدة الاسلامية المتحررة المثالية، وتحريف سلوك المسلم المؤمن في الجهاد والنضال ضد الطغيان والاستغلال، الى مظاهر تشورية فلكلورية.

ان القصد من هذه المظاهر الفلكلورية المشعوذة، على منوال الطرق والزوايا، هو الاحتراق الداخلي وانهاك الطاقات المعنوية والبشرية للطبقات الشعبية المغربية

وصدها عن التطلعات الحقيقية للشعب المغربي المؤمن .

فقد دعى محمد (صلعم) الى الاعتقاد بوجود الله واحد ، هو رب العالمين . وأول ما تصدى اليه (صلعم) في دعوته الحنيفة، هو الطعن ومناهضة الامتيازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية القرشية .

واللجوء الى القشور من طرف الحكم اليوم، هو من باب التجزئة والتشرذم المكشوفين والتجزئة والتشرذم ضد مبادئ الاسلام الحنيفة، كما أنهما ضد المبادئ التاريخية للشعب المغربي ، والمغرب العربي ، المبنية على الوحدة في الدين والمذهب والعدالة الاجتماعية .

فقد كونت العدالة الاجتماعية قبل الاسلام وبعده ، عامل الوحدة في العقيدة والوطن .

كان منطلق أسقف الكنيسة المسيحية في شمال افريقيا "دوناتوس" ضد استغلال وطغيان الادارة الرومانية، وضد التعسف في استغلال الكنيسة للعقيدة المسيحيةضد المواطنين البرابرة، كان منطلقه هو العدالة الاجتماعية لجميع السكان ،ولا سيما المحرومين منهم .

فقد قاد " دوناتوس" ثورة الفلاحين المحرومين البرابرة ضد المعمرين الرومان وضد تعسف الادارة الرومانية والكنيسة المسيحية الرومانية ،وذلك باسم العدالة الاجتماعية وحقوق الضعفاء والمحرومين .

كما كان القديس " أوغستان " أسقف عنابة الفيلسوف من حامل لواء النزاهة في العقيدة والعدالة الاجتماعية .

وبعد الفتح الاسلامي ، فلم تستتب العقيدة الاسلامية، بعد أكثر من 10ردات في شمال افريقيا الا بعد تقمصها السكان في تطابق مع عدالة اجتماعية صارمة المبدأ والسلوك بايحاء من الخليفة عمر بن عبد العزيز بن مروان(60 الى 98 هـ)، وتحت قيادة نائبه في افريقيا الاسلامية . والمعلوم أن عمر بن عبد العزيز كان مثالا لتقوى والتمسك بالعقيدة الاسلامية الحنيفة المبنية على النزاهة والعدالة الاجتماعية الصرفة الصارمة . كما كان نائبه اسماعيل بن المهاجر مثالا آخر في السلوك لتطبيق هذه العدالة الاجتماعية . فاعتنق البرابرة العقيدة الاسلامية مقرونة بالعدالة الاجتماعية وبالاجماع .

فتوحدت بذلك عقيدة زمذهب المغرب العربي بحماس وبدون استثناء ولا خلفية .

فاذا لجأ الحكم الاقطاعي اليوم، الى عملية التجزئة، فانما يحلم بانجاز ما أنجزه الاستعمار حليفه في المشرق العربي : خلق مذاهب متعددة القصد منها تصيب نفسه حكما عليها .

ففي الميدان الديني كما هو الشأن في الميدان السياسي والعسكري يبقى نفس المخطط هو الضابط : "فرق تسد " . مخطط الاستعمار .

2) التجزئة العنصرية العصبية .

وما محاولة نبش "العصبية البربرية" من جديد ، الا جزء آخر من هذا المخطط الدائم الانجاز، مخطط الاستعمار، "فرق تسد " . رغم أن الموضوع دائم التزييف، فانه دائم الهدف في المجهر الاستعماري .

وهذا ان دل على شيء، فيدل على أن حلم الامبراطورية الشريفة" لا زال يراود الحكم الاقطاعي بالمغرب. فهو حلم يائس دائم الفشل . ذلك أن هوية المغرب عقاب أرجله المستخلبة التي يستوى عليها ويقبض في معاقله للصمود ومواجهة العواصف والعوادى، بربرية الجذور والتشبث، وأجنحته التي يتوب بها ويسبح في أجواء الحرية ليختبر أفق التاريخ والحضارة، ويستشف معالم المستقبل، عربية قوية مرنة .

كل أداء يصيب أرجل العقاب يجعله ضريرا مغمورا مشلول القوى والعزم. وكل قص في أجنحته يحوله الى مسجون مستعبد محروم من فسحة آماله وخياله ومن تحفز مقدوراته الخلاقة .

فقد فشل مشروع الظهير البربرى، فشل ليوطي ، فشلت محاولة "لاباستيد "، وفشلت جهود الأب " دوفوكو" . . .

فشلت كل هذه المحاولات، لأن حقيقة المغرب العربي هذه لا تنطوى على عقدة ترابطية في النشأة والنزوع . فتاريخه ورجالاته أمثلة دامغة في ذلك .

فتح البربرى طارق بن زياد اسبانية باسم الحضارة العربية الاسلامية . وقام البربرى يوسف بن تاشفين سواء داخل المغرب، أو بعد معركة الزلاقة، في الأندلس، بعمل تحريرى اصلاحي موحد على أسس الحضارة العربية الاسلامية .

وكان المهدى بن تومرت الموحدى، الذى استوحى تحفزه من مبادىء

الحضارة العربية الاسلامية في المشرق، ليوحد على أسسها كل أطراف المغرب العربي، كان المهدى بربريا خالصا.

وهذه العوامل كلها كانت لأن "قلب البرابرة قد تعرب قبل تعريب لسانهم" كما عبر عن ذلك جمال حمدان.

لذا، فنحن بربريو الجذور والمعقل، عربيو الخيال والمنطلق والحمية. وكل مخطط يستهدف تفكيك هذه الحقيقة يبقى مآله الفشل.

والاعتماد على الطبقة الطفيلية لترويج هذه المخططات واضح مكشوف: فهي تتوخى محاولة ربطها ثقافيا بالاستعمار بعد أن تم ربطها به مصلحيا واقتصاديا. فالطفيلية من أساسها تتنافى مع هوية البرابرة النضالية.

فالثقافة الشعبية البربرية الحقة عبر التاريخ، هو التشبث بالنضال. وكل انتاج البرابرة الثقافي الشعبي مرتبط بالجهاد والنضال. ولذا، فتشجيع الثقافة الشعبية البربرية وتخصيبها، هي بمثابة احتوائها في جو نضالي يستهدف بناء العدالة الاجتماعية.

أما المزيفون فانهم يريدون بـ"البربرية" احلال اللغة الأجنبية محل اللغة العربية، فان محاولتهم هذه سبقتها محاولات حكم عليها الزمن. فدور الثقافة الشعبية، هو اذكاء وتغذية الثقافة الوطنية. واذا كانت الثقافة الشعبية، هي خلاصة الحراك اليومي الدائر في جميع مستويات الطبقات الشعبية المغربية، فان التعبير عن هذه الثقافة الشعبية على المستوى الوطني، تكونه الثقافة العربية الاسلامية. فاذا كانت هذه الثقافة الوطنية لا تختلف في حاصل جوهرها في جميع أقطار المغرب العربي عما هي عليه في المشرق العربي، فان أسبابا تاريخية جعلت نوعية الائتلاف بين مكونات الثقافة الوطنية في المغرب العربي تختلف عن شقيقاتها في المشرق العربي. وهذا الاختلاف في نوعية الائتلاف راجع الى دور العقيدة الاسلامية في الثقافة الوطنية في المغرب العربي.

فقد جاءت العروبة الى بلدان شمال افريقيا مقترنة، كما رأينا، بالعقيدة الاسلامية والعدالة الاجتماعية، اقترانا وثيقا لا انفصام فيه.

فاذا كانت المسيحية في تاريخ المشرق العربي سندا ودعما لانتشار الاسلام في آسيا الصغرى، وفي سوريا ومصر، لأن عرب غسان وتدمر وابن شيبان والعرب اللخميين المسيحيين كانوا في صراع دائم، ونضال مستمر ضد الاستعمار الروماني البيزنطي واستغلاله، وفي نفس الوقت، كانوا ضد الكنيسة البيزنطية التي تساند وتتواطأ مع

الاستغلال والظلم هذان، فان المسيحية تقترن في المغرب العربي بالاستعمار والاستغلال الأجنبيين. ذلك لأن البعثات التبشيرية كانت دائما بمثابة قناطر للاستعمار والاستغلال الأجنبيين في بلدان المغرب العربي. وقد بدا ذلك في تاريخ شمال افريقيا قبل ظهور الاسلام. فقد رأينا أن القديس "د وناتوس" كان يحارب في آن واحد الاستعمار الروماني "في افريقيا"، وظاهرة تواطوء الكنيسة المسيحية الرومانية مع هذا الاستعمار في استغلال المواطنين وغصب حقوقهم في العدالة الاجتماعية. فكان نضال " د وناتوس" هذا أساسا لمعاداة سكان شمال افريقيا للاستعمار والديانة المسيحية معا. واستمر كذلك بكرات هجمات الاستعمار الأوربي على المغرب العربي.

وبالعكس من ذلك، فقد رأينا اقتران مجيء العروبة الى شمال افريقيا بالعقيدة الاسلامية والعدالة الاجتماعية.

بينما اقترنت عروبة المسيحيين العرب في المشرق العربي بمساندة العقيدة الاسلامية لما لها من عدالة اجتماعية و مناهضة الاستعمار والاستغلال.

لذا، فاضافة لما لدعاة "البربرية" من علاقة مشبوهة بالاستعمار وأغراض الحكم الاقطاعي في الانشقاق والتمزق، فان أي طعن في عروبة المغرب، يعني نسف عمود من الأعمدة الثلاثة (العروبة والاسلام والعدالة الاجتماعية) التي يقوم عليها الكيان الوطني في بلادنا. وبعبارة أخرى، فان كل ضرب للعروبة في المغرب، يعني بالذات، خدمة الاستعمار. سيما وأن المدافعين عن "البربرية"، انما يدافعون عنها من موقع الاستعمار، ومن موقف لغة الاستعمار.

وقد سبق العملية " البربرية " هذه، عملية الحلف "الاسلامي "الذي كان يتزعمه الشاه المطاح به في ايران. كان الغرض من الحلف الاسلامي هو طوق العروبة في المشرق العربي بعمقها الاسلامي الطبيعي.

والمخطط العام الاستعماري الذي انطلقت منه العمليتين " البربرية " و"الاسلامية"، هو الجري وراء خلق أخطاء جزئية متعددة للطعن بواسطتها في العمق الحضاري الذي يكون الأمة العربية: العروبة والعقيدة الاسلامية والعدالة الاجتماعية.

والجواب على المخطط سواء استهدف واحدة أم أخرى من هذه الأعمدة الثلاث، هو النضال الشعبي الذي يتصدى لفضح المخطط وتوضيح بوادره. الجواب هو

تنمية أمل وطموح الجماهير الشعبية في الخلاص من حكم الاقطاع والاستغلال والعمالة الذى يشرف على انجاز المخطط.

فقد خلصت الجماهير الشعبية الايرانية نفسها من نظام الشاه، فأصبح الاسلام الذى أريد به طوق للعروبة في العهد البائد، عمقا لهذه العروبة.

وما لنظام الحكم الاقطاعي في المغرب من تشابه مع نظام الشاه البائد، فلا بد للنضال أن يجعل من نتائج المخطط "البربرى" نتائج متشابهة في ايران والمغرب.

5) دور الاستعمار الفكرى.

اذ أن من أساليب تدعيم وجود وضع هذه الطبقة الطفيلية في المجتمع المغربي، هو الاستعمار الفكرى والثقافي. ان دور القنوات الفكرية والثقافية، هو تدعيم وتطوير أساليب ربط وحماية مصالح الاستعمار والاقطاع بمصالح هذه الفئة. لذا نرى هذه الفئة تقوم عن وعي بتدعيم الثقافة الاستعمارية، وهذا ليس غريبا مادام وجودها كفئة تيكنوقراطية طفيلية تجارية، هو نتيجة افراز استعمارى قوامه عبء اجتماعي اقتصادى ثقافي اداري على حساب الشعب الذى يطمح، بالعكس من ذلك، الى بناء مجتمع متحرر على أسس حضارية مختلفة جذريا، لا يمكن لها أن تقوم الا على أنقاض الاستعمار وحلفائه وافرازاتهما المباشرة.

ولهذا، فان دور هذه الطبقة في احتلال مواقع داخل الحزب لتسخيرها لخدمة موقع النظام وحلفائه، وتسخير الموقع الجماهيرى من أجل التمييع وزرع بذور الشك والبلبلة والتردد في امكانية الخلاص لأن الخلاص من النظام والاستعمار، يعني في آن واحد الخلاص من المستفيدين من النفوذ الاستعمارى ومظاهره الاقتصادية والسياسية والثقافية.

غير أنه اذا كان العامل الثقافي يلعب دورا مهما في خلق واستمرار هذه الوضعية، فان الخروج منها يدخل عنصرا أهم من العامل الثقافي، انه الروابط المتينة بين القيادة والجماهير. ان هذه الروابط هي التي تشكل الحصانة كما أنها تكون في نفس الوقت عاملا حاسما في قطع دوابر هذه الازدواجية التي تسمى تضليلا بالاصلاحية.

6) بطل وبطـــــل

ان هذا التضليل واضح جلي عبر التاريخ القديم والحديث. يتجلى ذلك في استعراض مواقف الزوايا ورجال الدين والقادة السياسيين والعسكريين عبر تاريخ المغرب. ودون استعراضها جميعا، يكفي الاشارة الى مواقف رجلين بارزين في تاريخ المغرب الحديث: البطل عبد الكريم الخطابي، والمرحوم علال الفاسي. ان كليهما تكون وتلقن مبادئه الثقافية في جامعة القرويين بفاس، غير أن الفرق بينهما، كان نتيجة المنبع الاجتماعي والوسط البيئوي، وبالتالي نجد موقع انطلاقهما في العمل السياسي يختلف اختلافا جذريا.

والا فكيف يمكن للانسان أن يفسر، وفي أي ميدان يمكنه أن يلتمس الأسباب التي جعلت الحركة الوطنية، التي كان أبرز رجالاتها على الاطلاق المرحوم الأستاذ علال الفاسي، تدير ظهرها كليا للثرات النضالي الملتهب ضد الاستعمار الذي فجره وقاده في الريف القائد عبد الكريم الخطابي، والذي استمر بعده الى غاية أواسط الثلاثينات ؟

ان هذا لم يكن خطئا ناتجا عن تقييم مغلوط لمرحلة معينة من التاريخ النضالي للشعب المغربي، لأن الحركة الوطنية، وعلى رأسها الأستاذ علال الفاسي، قد أدارت ظهرها عن وعي لموقع انطلاق ثورة عبد الكريم الخطابي (الاعتماد على الجماهير الفلاحية). بل واستمرت في ادارة ظهرها له شخصيا بعد ذلك، على المسرح السياسي ابان اقامة مكتب المغرب العربي في القاهرة.

وقد تأكدت استمرارية نفس الموقف في الخمسينات ابان اندلاع العمل المسلح الذي قادته المقاومة وجيش التحرير، عند ما اختارت الحركة الوطنية القصر الملكي ومفاوضة اكس لبان.

كما استمر نفس الموقف بعد الاستقلال الشكلي بالنسبة لجيش التحرير في الصحراء...

كل هذه مواقف ومعالم تتداخل فيها عوامل الاقطاع والاستعمار لقطع الطريق عن الاختيار الشعبي للتحرير الحقيقي.

واذا كان للمناضلين الذين ساهموا من مواقع نضالية فعلية، ضد الاستعمار، سواء كان ذلك من بين صفوف المقاومة وجيش التحرير، أن يستخلصوا عبرة من النكسة، وخصوصا منهم أولئك الذين يرون أن المقاومة سلوك نضالي والتزام سياسي

يستهدف تعميق الثرات النضالي للجماهير الشعبية، فان المراجعة النقدية الموضوعية تقضي الاعتراف بأن نضال الشعب المغربي كان ضحية اعتقاد المناضلين أن الاستعمار تحدده عوامل الجنسية أو عوامل العقيدة الدينية.

7) المداخل المنورة والمداخل المظلمة.

ان الوعي السياسي العميق كان يقتضي منا جميعا فهم حقيقة الهوية الاستعمارية، فهم مقوماته الحضارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. غير أن تكويننا في تلك المرحلة لا يسمح بتناول الأشياء الا من زاوية لونين اثنين طبيعيين: الأبيض والأسود.

اذ عندما طرح الاختيار في تلك المرحلة بين الملك والحزب (حزب الاستقلال) ذهب الجميع ضحية تناول الأشياء من زاوية اللونين، دون ادراك تنازع وتداخل عناصر الحسم السليم بعضها البعض.

فحقيقة الأمران الاختيار لم يتوفر حتى بين لونين مختلفين أحدهما عن الآخر، انهما طريقان منعرجان، ولكنهما يؤديان الى هدف واحد في النهاية.

بدأت الأشياء تستحيل ضد الاستعمار، نتيجة تعمم وتناسق النضال المسلح في المغرب العربي، ففتح عدة أبواب للخروج من المأزق. كنا لا نستظهر من هذه الأبواب الا بابين.. والحقيقة أنها تؤدي كلها الى مكان واحد، هي طبخة اكس لبان.

فتح الاستعمار أبوابا متعددة وأضاء مداخلها، ولكنه في نفس الوقت أوصد أبوابا أخرى وأطبق عليها الظلام: أبواب الشعب وأبواب النضال.

أوصد الاستعمار الأبواب والمنافذ التي تؤدي الى الاعماق النضالية في جميع المستويات وحجبها بالتموهات الشكلية على مستوى المبادئ والتناحرات الذاتية على مستوى القوات السياسية.

أغلق أبواب النضال على مستوى المغرب العربي والافريقي والعالمي حيث يهيمن الاستنزاف والاستغلال.

وعند ما حاولت بعض العناصر الطلائعية استشفاف المستقبل، ومراجعة الماضي، تهيلت بالتصفية وبدون تردد: أمثال المهدي بنبركة وعمر بنجلون.

قد يقال أن اليقظة لم تحدث الا بعد فوات الأوان، وأن ذلك لا يعدو أن

يكون مجرد رد فعل ذاتي أو صحوة ضمير، لا تلبث كرة المخطط الاستعماري الاقطاعي أن تأتي عليه وتشله ، وتحول دونه ودن تطوره الى عنصر حافز يخطط على ضوئه المستقبل

والحقيقة أن تحليل الفشل وعوامله واستخلاص العبرة منه ، يكون في حد ذاته عنصرا حافزا من شأنه استجماع الرؤيا في نظرة شمولية ،تغني فيها التجربة الماضية أفق المستقبل ،ويساعد على الانتقال من التجربة — بواسطة التمعن والتحليل — الى التنظير للواقع الملموس المشيد على أرض صلبة يلوح فيها المستقبل بشكل واضح .

8) الفلاح هو العمق، والحق هو ضمان المستقبل . ٪

ان الفلاح في البيئة المغربية يكون أساس الهياكل الاجتماعية . فمنه انبثق الاقطاع، وعلى جهده شيدت المدن ، من صراعاته انبثقت الدولة ، ومن الطغيان على ثمار عنائه وشقائه انفجرت الثورات، ومن تزايده وتطوره الاجتماعي تكونت الطبقة العاملة .

فالفلاح اذن هو المنطلق للجهاد ، كما أن الفلاح هو موقع ومنطلق لمراجعة ما شاخ وتعفن . الفلاح المغربي هو المرجع والاداة الفعالة لتقويض ما لم يعد صالحا في طريق البناء والتشييد الاجتماعي . فهو العمق الذى يجب أن يتجه اليه أبناؤه لتوظيف امكانيات المستقبل ، من وعي وتنظيم وثقافة ، وذلك لمواجهة مخطط الاستنزاف والتطويق الذى فرضه عليه الحكم الرجعي .

لذا فمن واجبنا توجيه الشبيبة وتشجيعها على الانتقال والتوجه الى البادية الفلاحية ومشاركة الفلاح حياته ومشاكله ، وذلك بعقد ندوات دراسية في المناطق القروية وكذا تشجيع المحامين للدفاع عن الفلاح ضد طغيان السلطة . كما أن من واجب المعلمين والاطباء العاملين في القرى، والعمال المزارعين والمهندسين الفلاحيين بتبني مشاكل الفلاح كل في ميدانه الخاص به .

كما أنه عاد من الضرورى احياء تقليد كنا نعمل به من قبل ، في عقد دورات اللجنة الادارية والجنة المركزية قصد تقديم دراسات

وأطروحات الى غير ذلك في شأن القضايا التي تهم الفلاح .

كل ذلك من شأنه أن يساعد على فك الحصار الذى ضربه الحكم الاقطاعي حول البادية والفلاح . كما أن ذلك سيكون من شأنه أن يبعث الامل عند الفلاح في اهتمام الشباب بمشاكله ، وعقد ورته على مواجهة قضايا المستقبل والبناء الذى يستلزمه وتقوية معنوية الفلاح النضالية الثورية التقليدية . وفي هذا الجو الملائم سيكون ممكنا نقل الوعي والتنظيم وتوجيههما لعمل الحسم الاستراتيجي الذى يكونه الفلاح المغربي .

ان الرجوع للريف هو من جوهر الرجوع للعمق الاجتماعي الحضارى بقوماته العربية الاسلامية . فالهوية المتجذرة هنا راسخة رسوخ الجبال ، لا تقبل المسخ والاستلاب ، ولا هي تتحمل لا التشويه ولا التضليل . فهي صافية صفاء الريف، ونقية نقاء هوائه ، صلبة صلب صخور جباله ، ثابتة متحطة ثبوت الشمس في السماء .

فمن طبيعة الفلاح الانتاج والابداع . ومن طبيعة الاقطاع التشويه والتحريف . من طبيعة الفلاح الكد والجهد ،ومن طبيعة الاقطاع الاستلاب والاستغلال والتفويت والتحويل لصالح الاستعمار . الفلاح في بلادنا هو مصدر الطبقة العاملة ،كما أنه يكون منبع الجيش الشعبي . الفلاح هو مرتع الحياة الاجتماعية المبنية على التعاونية والمساواة، هو ميدان الدفاع الجماعي ، وميدان الثورة التي لا تخمد ، الفلاح هو التربة الخصبة التي تنبت التراث وتنتج التضحيات، هو القوة البشرية التي يستهدفها دائما الاقطاع والاستعمار والاستغلال .

9) الفلاح هو عمق الوحدة القومية

لذا فالاعتماد على العمق الفلاحي والاعتماد على جعل التجاوب معه تجاوبا دائما في أهداف القيادة الحزبية ،هو الطريق للعمل النضالي الثورى الصحيح .

فقد كانت البادية المغربية تشكل عبر التاريخ المشرق

ضمان العمل السياسي الاجابي ، ليس فقط على مستوى الحدود المغربية بل ان العمق الفلاحي يشكل ضمان النضال المشترك الموحد على الصعيد الشعبي بالمغرب العربي والعربي والاسلامي بشكل عام.

لذلك فليس من الغريب أن تكون مخططات الاستعمار وعملائه المحليين تستهدف على الدوام تحويل التعامل مع الاعماق الفلاحية الشعبية المغربية والعربية الى عمليات تناحرية وتنافرية واقتتالية ، وذلك حرصا على تقوية الطوق المادي والاداري القمعي ، بحصار معنوي نفسي علّه يكون أشد فعالية لانه يبنى على الحقد ويجدد ويذكى ويغذى وينمى حسب الحاجة.

وانعدام التجاوب والتفاعل بين القيادة التنظيمية أو الحزبية ، مع هذه العماق الشعبية المتجذرة يؤدي ـ وأدى في حالتنا ـ الى تبعثر وتشرذم في الصراعات الداخلية ، والى تشتت في المواقع التنظيمية ، أو الحزبية ، وبالتالي يؤدي الى تعميق عدم التجاوب بين القيادة والقواعد . كانت نتيجة هذه القطيعة بين القيادة الحزبية والقواعد أن أدت بالقيادة ـ كجسم معلق الارجل في الهواء ـ الى اضطراب وحيرة ، ثم بعامل الحنق الى تصدع ينذر بالانفجار. ومن أجل التنفيس على هذه الوضعية الغير المرتاحة نرى التسابق نحو الحكم من طرف هذه القيادة المبعثرة الخطط ، المتدهورة الاساليب ، في حوار يائس مع هذا الحكم . وهذا الحوار في جوهره لا يعدو أن يتجاوز عطية اللهو والتخفيف عن النفس.

ففي مثل هذا المخطط نفسه تدخل عملية الاقتتال التي أوحى بها الاستعمار ونظمها الحكم الاقطاعي بمساندة هذا الاستعمار مع الجزائر. ان المغرب في الحقيقة يكون عمقا شعبيا طبيعيا للجزائر ، كما تكون الجزائر ، كشعب ، عمقا طبيعيا للمغرب. والحقيقة أن هذا ليس الا جزءا من مخطط دائم الانجاز ينطبق على المغرب العربي ككل ، وينتقل من المغرب العربي الى المشرق العربي حسب دوامة ثابتة الاهداف ، وذلك ما للوطن العربي من

وحدة في القضايا والمصير، وما للعلاقة التي تسود بين جوهر هذه القضايا الأساسية والقضية العربية الفلسطينية ومواقعها في لبنان والأردن وسوريا والعراق ومصر وليبيا، حيث يسيطر التناحر والاقتتال.

ومن امتدادات هذا المخطط التناحري ذو الأهداف التقسيمية التطويقية يدخل الجو السائد بين العراق وايران، حيث الاسلام من طبيعته عمق للعروبة، وبالتالي، فان أسباب هذه الأوضاع كلها ترجع الى الابتعاد عن الأعماق الشعبية لا ستبدالها بالمداخل الاستعمارية، الشيء الذي أوصل مسيرتنا الى المأزق.

10) الخروج من المأزق.

والمخرج من المأزق يقتضي أن يكون مركز القيادة أداة للتعبئة وموقعا لتقدير الموقف النضالي، كما أن المخرج يستلزم بناء موقع محصن من تسرب مصالح غير مصالح الجماهير الشعبية التي هي الهدف وهي الوسيلة والضمانة في نفس الوقت. فمن دور واجب القيادة أن تكون مرآة صافية لا تعكس غير مصلحة هذه الجماهير، اذ ترى فيها نضالها ومستقبلها وطموحها، كما ترى القيادة نفسها في انعكاس هذه الثقة بها ودعمها في مواقفها.

واذ ذاك فقط، وعبر عمقها الفلاحي، سيجد الحزب نفسه أمام تفتح كل الأعماق المغربية الأخرى وأعماق المغرب العربي والعالم العربي والاسلامي. وعوض التطلع الى الاستعمار الغربي، ستكون آفاق وطموحات الحزب في انسجام مع آفاق وطموحات الجماهير في الحضارة والتطلع والتوجه نحو التحرير والابداع في كل المجالات.

ان أسباب الشلل تكمن في التقليد، والخروج من هذه الدائرة المغلقة، يقتضي عمل الارادة، وعمل الارادة لن يكون فعالا الا اذا كان عمل ارادة الجماهير المتجاوبة والمتفاعلة من المغرب الى المشرق ومن افريقيا الى آسيا.

وبهذا المقياس نستطيع استئصال الأسباب التي أدت الى صفقات على غرار صفقات اكس لبان التي كرست مشروعية تقسيم المغرب العربي بحدود اقليمية مصطنعة بعد أن تجاوزها نضال الشعوب بالثورة المنسقة على مستوى المغرب العربي، والى تلافي تكرار محنة الصحراء التي يستهدف الاستعمار بواسطتها، وبأداة الحكام، اقامة حواجز نفسية، القصد منها تدعيم ما أنجزه بخرافيا

في عقول سكان المغرب العربي .

ان محنة الصحراء لا تخطأ أن تكون طوقا للوطن لصالح الاستعمار، القصد منه ، فصل الشعب العربي في المغرب عن الافريقي ، وحماية عملائه المحليين من الشعوب المغلوبة على أمرها خوفا من الاهتزاز.

ان محنة الصحراء تطبيق للسياسة الاستعمارية التقليدية، التي تستهدف المساومة على القضايا الجوهرية، مقابل جزء منها كمغنم للحكام على حساب الشعب ومصالحه الجوهرية وقضاياه المشروعة.

وما اتفاقات " كامب ديفيد " الا تطبيقا آخر لنفس السياسة التي طبقت مرات عديدة في الوطن العربي ، مشرقه ومغربه .

ان القضايا الكبرى والشعوب والتضحيات مترابطة، والذى يفصل بينها دائما هو الاستعمار، ومن أجل هذا الفصل يعكف الاستعمار على استقطاب سماسرة محليين يوكل اليهم تطبيق الخطة تحت شعارات تضليلية مزيفة ، لأن الاستعمار لا يطمع أن يتولى شعب من الشعوب القيام بتطبيق خطته . لذا ،ومن أجل الحصانة ضد السقوط في تورطات من هذا القبيل ، يتحتم على كل قيادة مخلصة الاعتصام والالتحام العضوى بهذه الحقيقة، بل ان وضع هذه الحقيقة في سياقها الحضارى هو الضابط للمسيرة نحو الابداع.

وبالعكس من ذلك ، فان القفز والوثوب بين الثغرات التي اعتمدها الاستعمار للتمويه والتضليل عن جوهر المخطط وتفكيكه الى أجزاء غير مترابطة ظاهريا انما هو طريق الاستلاب والضياع وفقدان الهوية الوطنية والثقافة الشعبية . فالموقع السياسي السليم والصحيح لا بد أن يكون نضاليا ، ولا بد أن يتخذ الجماهير وسيلة والشعب والوطن هدفا . أما غير ذلك، فلا يتعدى أن يندرج في المسار الاستعمارى وعملائه ومصالحهما المشتركة التي لا توجد ولا تزدهر الا على حساب محنة الشعوب . والعملاء كالطفيليات عامل ضعف يساعد الاستعمار على الاستغلال والاستنزاف .

وكل ضغط للفرز منطلق من هذه المبادئ، لا شك أنه يساعد على ابراز موقفين ومشروعيتين :

1) موقع التضحيات الذى يزكي المشروعية النضالية الوطنية بقيادة ارادة الشعب .

2) موقع الاستعمار والاقطاع الذى يزكي مشروعة تحالف مصالح الاقطاع والاستعمار، يقسم الارادة الى ارادتين واسيادة الى سيادتين ونقاط الانطلاق الى نقطتين. الانتقال من نقطة الى أخرى بأسلوب المساومة والتهدئة قصد بلوغ ثمن مناسب.

بل ان تجربة الاستعمار أبانت له أن هناك مشروعة ثالثة ربما هي جانبية، ولكن نتائجها تظهر أكثر فعالية، ألا وهي المشروعة الحزبية.

تولى الحكم الاقطاعي اصدار ومنح هذه المشروعة الثالثة بمنحها لهذا الحزب على حساب الحزب الآخر، بل لهذا الشخص داخل حزب واحد على حساب شخص آخر، فتنقلب المشروعة من المشروعيتين المتناقضتين الأساسيتين الى بلبلة حول مشروعة ثالثة مصطنعة، تتلخص في معرفة من هو أولى من الأشخاص أو الأحزاب بتولي ركن الكواليس مع الحكم!

والحقيقة أن الانحذار وحده كاف باستدراج الأمور الى الانحراف، والانحراف من جوهر الصراع الى الذيول والهوامش، ما دامت الثقة بين الجماهير والقيادة غير متوفرة وشروط الحسم والوضوح في الاختيار والحزم المعتمد على التبصر والنظرة الشمولية غائبة.

فلا عجب في هذه الظروف أن تجمع الأحزاب السياسية على الاقرار بالمأزق بالنسبة اليها، وفي الوقت نفسه الاقرار بضعف الحكم باستثناء جهازه البوليسي.

فهذا الاقرار لا يتعدى أن يكون تعبيرا للقطيعة الناشئة، بسبب مسلسل مدروس من طرف الحكم، بين قيادات هذه الأحزاب وقواعدها الجماهيرية الشعبية.

اما أن يكون حكم يستمد جوهره من الاستعمار واستغلال المواطنين، ضعيفا فتلك لعمرى من خواصه المقرونة به.